الصحة النفسية والعقلية وعلاقتها بالأمن الثقافي والسيادة الرقمية.

Psychological and mental health and its relationship to cultural security and digital domination.

عزالدين بشقه

جامعة باتنة1، الجزائر، azzeddine.bechka@univ-batna.dz

سامي مقلاتي

جامعة قسنطينة2، الجزائر، samy.meguellati78@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/03/15 **تاريخ القبول:** 2021/03/23 **تاريخ النشر:** 2021/04/01

ملخص:

ارتسم مفهوم الأمن الإنساني في أبجديات المقررات لدى المؤسسات الدولية على مجموعة أبعاد توصف بها حاجيات الإنسان والتي تمس جوانب أساسية في حياة الإنسان: الاقتصادية، الغذائية، الصحية، البيئية، المجتمعية والسياسية، وهي أبعاد بالضرورة أساسية، لكن وحدة الكائن البشري وصحته تتطلب أمنا يشمل الجسد والنفس والفكر، حيث اتجهت الاهتمامات والسياسات نحو معظم الأبعاد الأمنية ولكن يبقى سؤال الأمن الثقافي والفكري يتطلب مزيدا من الاهتمام في خضم العولمة الكاسحة. ستتناول هذه الورقة أهمية بُعد الأمن الصحي (الجسدي والنفسي والعقلي) وعلاقته بأثر التهديدات الثقافية ضمن العولمة وطغيان وسائل التواصل الرقمية.

الكلمات المفتاحية: *الصحة النفسية؛ الصحة العقلية؛ الأمن الثقافي؛ السيادة الرقمية.*

Abstract:

The concept of human security has been drawn up in the ABCs of the courses of international institutions on a set of dimensions that describe human needs that affect basic aspects of human life: economic, nutritional, health, environmental, societal and political. These dimensions are essential, but the unity and health of the human being requires a security that includes (physical, psychological and mental), as policies have turned towards most of the security dimensions, but the question of cultural and intellectual security remains that requires more attention in the midst of sweeping globalization.

This paper will deal with the importance of the health security dimension and its relationship to the impact of cultural threats within globalization and the tyranny of digital media.

Keywords: *Psychological and mental health; Cultural security; Digital domination.*

* المؤلف المرسل: عزالدين بشقه، azzeddine.bechka@univ-batna.dz

مقدمة:

وفقًا لدستور منظمة الصحة العالمية، تعد صحة جميع الشعوب أمرًا أساسيًا لتحقيق السلام والأمن وتعتمد على التعاون الكامل بين الأفراد والدول حيث أن الأوبئة والطوارئ الصحية وضعف النظم الصحية لا تكلف الأرواح فحسب، بل تشكل أيضًا بعضًا من أعظم المخاطر التي يواجهها الاقتصاد العالمي والأمن اليوم. علاوة على ذلك، فإن التغطية الصحية الشاملة والأمن الصحي وجهان لعملة واحدة يهدفان إلى تحسين الوصول إلى الرعاية الصحية وتعزيز النظم الصحية وتوفير دفاعًا قويًا ضد التهديدات الناشئة، سواء كانت طبيعية أو من صنع الإنسان.

أما "الأمن الصحي" فعلى الرغم من توفر الكتابات الواسعة حوله وحول "الأمن الإنساني" وكذا "الأمن العام للصحة العامة"، فلا يوجد تعريف متفق عليه عالميًا. وقد يعود ذلك إلى الاستخدام الواسع النطاق وغير المتناسق للمصطلح من قبل أصحاب المصلحة في مجال الصحة العامة العالمية ذوي المفاهيم والأولويات وجداول الأعمال المتباينة على نطاق واسع قد تسبب في ارتباك وانعدام الثقة.

حتى داخل منظومة الأمم المتحدة، يبدو أن هناك اختلافات كبيرة في فهم وتطبيق مفهوم "الأمن الصحي"، على سبيل المثال برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومنظمة الصحة العالمية (WHO,2007).

في المقابل يبدو مفهوم الأمن الصحي واضحا من خلال الآثار الناجمة عن غيابه حيث تتمحور كل انعكاساته من خلال أثر الأمراض المزمنة والمعدية من جهة ونقص الغذاء أو عدم توازنه من جهة أخرى، ويزداد الأمر سوء لما يغيب لدى الأسرة الوعي الثقافي (الغذائي-الفكري) الذي يرافق الأبناء في حياتهم اليومية في مختلف المناشط والأخطر عدم الوعي بأهمية الأمن الثقافي الذي يشكل وجها مقابلا لصحة الإنسان الغذائية لما له من أثر على صحة الفرد النفسية والعقلية.

1- الإشكالية:

تمتد جدلية الفرد- الجماعة من الخلفية النظرية إلى تطبيقاتها المتعددة عبر مسارات الدور والوظيفة التي تجعل وجودهما وأهدافهما متحدة المرامي، فالبنية الهيكلة تكوينا ووظيفيا للجماعة مستمدة من ذات بنية الفرد حيث تتعلق متطلبات استمرارية وصحة تلك الذات بمدى صحة الجماعة وذلك في إطار كل واحد متكامل متفاعل في مثلث الصحة(الجسد، النفس، العقل"الفكر").

من هنا كانت سلامة المجتمع (كجسد مشترك)، وكذا سلامة لاشعوره وعقله الجمعيين من سلامة أفراده، حيث كان التأكيد على بعدي المتطلبات الأمنية (الغذاء والسلامة النفسية) جوهر الاستقرار الدافع للحياة والملهم للتطور:

{الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ }قريش4

{وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ }النحل112

إن الأمن وحدة واحدة لا تتجزأ، عناصره المركبة تتفرد في أهميتها ولكنها تجتمع لتعطي معنى لوجود الكائن الحي، والمجتمع والدولة، من هنا جاء المقصد يخص محورين أساسيين في حياة الفرد، والجماعة حيث أن محور الغذاء أهم محور دون شك-لأن نقصه أو انعدامه سيضر بحياة الفرد العضوية والنفسية وسيدفع به إلى ارتكاب سلوكيات مخالفة للأعراف(الدينية والاجتماعية) والقانون بغية الحصول عليه، ودليل ذلك الحروب والصراعات القائمة على نقص الغذاء أو الكلأ أو المياه (محمد الفرا،1979،ص206)(Maxwell, S. 1996)- لكن استتباب الأمن على المستوى الفردي والجماعي يتطلب الحاجة إلى الأمن النفسي والفكري حيث فقدانه يدفع إلى الاضطراب عضويا ونفسيا بسبب شعور الفرد أن وجوده ومستقبله في خطر، ومن هنا نجد أن ارتفاع درجة الخوف يلحق خللا في الوظائف الفسيولوجية ويؤثر على الوظائف النفسية المختلفة (Ralph Adolphs2013)، (Thierry Steimer,2002) هذا على مستوى الفرد أما على مستوى الجماعة فيزرع الشك ويرفع درجة العدائية وبذلك الدخول في حالة عدم الاستقرار التي تهدد المجتمع والدولة على حد سواء.

ومن هذا الباب اكتسحت مقررات المؤسسات الدولية التي تعنى بشؤون الأفراد والمجتمعات كل الدول وهي أصلا حقوقا: اقتصادية، غذائية، صحية، بيئية، مجتمعية وسياسية، منسوجة ضمن مفهوم العولمة عابرة لكل الحدود الثقافية، مستثمرة في أدوات متعددة صنيعة التراث المادي للحضارة المُعولمة تجسدها التكنولوجيا الرقمية حيث تلعب الشبكة العنكبوتية فيها دور صمام الأمان لعولمة النموذج الثقافي السائد(Chen LC. 2004)، والملفت للانتباه أن هذه المؤسسات لم تعر الاهتمام الكافي لأهمية حماية أمن وسلامة التراث الثقافي والفكري الواقع تحت طائل أثر الهيمنة بوسائل ضرورية وهي السيادة الرقمية حيث - غياب الحماية من الغزو الثقافي (الفكري) في إطار حماية الخصوصية الثقافية للمجتمعات (الأمن المجتمعي) من جهة، ومن جهة أخرى الفتور أمام الهجمات الفكرية العابرة للقارات التي تحملها الألعاب الالكترونية والأفكار الهدامة للقيم الإنسانية والمضرة للصحة النفسية والعقلية على غرار (ألعاب العنف والموت:الحوت الأزرق...)، أو تلك المتعلقة بانتهاك مبادئ إنسانية باسم الحرية وإدخالها ضمن حقوق الإنسان لبسط مفاهيمها عنوة مثل (المثلية الجنسية- الإلحاد....).

وأمام هذا الضرر المحدق بصحة الإنسان (بأبعادها) تحت ضغط السيادة الرقمية وتغاضي المؤسسات الدولية عن الاهتمام بمحور أساسي ألا وهو الأمن الثقافي،

يدفعنا لنتساءل:

ما علاقة الأمن الثقافي بالصحة النفسية والعقلية في إطار موقع الخصوصيات الثقافية ضمن العولمة الكاسحة؟

2- الهدف من الدراسة

تقتضي إشكالية الدراسة التحقق من مقاربة التماثل بين أبعاد الصحة التي تشكل الأمن للإنسان على المستوى الفردي بمنظور أبعاد الأمن على المستوى الاجتماعي والقومي، حيث يتراءى التركيز الجوهري في كثير من السياسات على تحقيق البعد الاقتصادي رغبة للوصل إلى رفاهية الأفراد والمجتمعات وهو ما يقابله الصحة البيولوجية، هذا البعد الاقتصادي يرتبط بالبعد الاجتماعي والسياسي كون الفرد كائن عضوي ضمن الجماعة،

مخطط لمقاربة تماثل ابعاد الصحة بابعاد الأمن

بيد أن البعد البيولوجي على المستوى الفردي أو البعد الاقتصادي- الاجتماعي مرهون بالبعد النفسي لحياة الأفراد والجامعات عليها ينبني الاستقرار وجودة الحياة، وهذه الأبعاد كلها بقدر ما هي مركزية لا تؤدي وظيفتها ما لم يضمن للأفراد والجماعات أمنا ثقافيا.

3- الأمن في منظور المؤسسات الدولية

يُعرّف الأمن العام للصحة العامة على أنه الأنشطة اللازمة لتقليل مخاطر وتأثير أحداث الصحة العامة الحادة التي تهدد الصحة الجماعية للسكان الذين يعيشون عبر المناطق الجغرافية والحدود الدولية، أين تتحمل جميع الدول مسؤولية الحفاظ على سلامة شعوبها. في المقابل تتمثل مهمة منظمة الصحة العالمية في مساعدة جميع البلدان على الوفاء بواجبها المتمثل في السلامة والرعاية لمواطنيها، وخاصةً لأفقر الفئات وأكثرها هشاشة، هذا هو هدف الأمن الصحي العالمي العام المجسد في إظهار كيف يمكن للعمل الجماعي الدولي للصحة العامة أن يبني مستقبلاً أكثر أمانًا للبشرية (Nef J. 1999)

في عام(1994)، نشر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي تقريره السنوي عن التنمية البشرية، بعنوان الأبعاد الجديدة للأمن الإنساني (UNDP, 1994). على الرغم من أن العديد من اللجان والمجموعات الوطنية قد أصدرت تقارير حول الأمن الإنساني، إلا أن تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي كان له تأثير خاص. يصف ذلك التقرير الأمن الإنساني من حيث أمن الأفراد وكذلك الدول القومية، وكذا يوفر منصة للتنمية المستدامة كواحدة من المحاولات العديدة لتحديد الأمن البشري (Axworthy ,2001 ؛ Thomas, 1999)، وقد حدد تقرير التنمية البشرية لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي سبع فئات من التهديدات التي يتعرض لها الأمن البشري: الندرة

الاقتصادية والغذائية، الصحة، البيئة، الشخصية، المجتمع والسياسة، وقد بدأ هذا التقرير عملية ربط المخاوف الصحية بالأمن البشري، وهي عملية قام بها العديد من الكتاب على غرار شان وآخرون (Chen et al.2003).

في مايو(2003)، قدمت لجنة الأمن الإنساني تقريرًا بعنوان الأمن الإنساني الآن إلى الأمين العام للأمم المتحدة (Commission on Human Security. 2003). وصف هذا التقرير الأمن الإنساني بأنه مكمل لأمن الدولة، ولكن مع التركيز على حقوق الإنسان والتنمية البشرية. من بين التوصيات العشرة المتعلقة بالسياسة العامة للجنة، أشار أحدها إلى الصحة: "إعطاء أولوية أعلى لضمان حصول الجميع على الرعاية الصحية الأساسية". بعد وقت قصير من تقديم تقرير اللجنة، تم إنشاء وحدة للأمن الإنساني في مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (OCHA)، والذي أعطى الأمن الإنساني قاعدة تنظيمية داخل الأمم المتحدة.

تشير ديباجة دستور منظمة الصحة العالمية لعام (1946) إلى "... السعادة والعلاقات المتناغمة والأمن لجميع الشعوب"، وهو ما ينص عليه الدستور لاحقا على أن "صحة جميع الشعوب أمر أساسي لتحقيق السلام والأمن" (WHO. 2005). كما هو مستخدم هنا، يبدو أن "الأمن" يشير إلى "الصحة والأمن" "المساهمة التي تقدمها الصحة للأمن العالمي" بدلاً من "الأمن الصحي" أي " تأمين الصحة نفسها". ومع ذلك، لم يتم تطوير تمييز محتمل مفيد بين "الصحة والأمن" و "الأمن الصحي" في الأدبيات، حيث استخدم بعض المؤلفين المصطلحات بالتبادل.

في عام (2001)، ربط قرار جمعية الصحة العالمية 54.14 "الأمن الصحي العالمي بما يلي: "الإنذار بحدوث الأوبئة والاستجابة لها" وبذلك إثراء مفهوم الأمن الصحي بإستراتيجية عالمية للوقاية من انتقال الأمراض المعدية عبر الحدود الوطنية. دعم هذا القرار مراجعة اللوائح الصحية الدولية، وكان الخطوة الأولى في ربط "الأمن الصحي العالمي" بامتثال للوائح الصحة الدولية". تم المضي قدماً في عام (2007)، عندما تم اختيار الأمن الصحي كموضوع ليوم الصحة العالمي والتقرير السنوي للصحة العالمية (WHR)، الذي يحمل عنوان مستقبل أكثر أمانًا: "أمن الصحة العامة العالمي في القرن الحادي والعشرين" (WHO ,2007a). بشكل مهم، لا يتناول هذا التقرير سوى "الأمن الصحي العام العالمي"، والذي يُعرّف بأنه "... الأنشطة المطلوبة... لتقليل التعرض لأحداث الصحة العامة الحادة التي تهدد الصحة الجماعية للسكان الذين يعيشون عبر المناطق الجغرافية والحدود الدولية".

وبالتالي، يركز تقرير حقوق الإنسان لعام(2007) فقط على "قضايا محددة تهدد صحة الناس على الصعيد الدولي"، مع التركيز بشكل حصري تقريبًا على الامتثال العالمي للوائح الصحية الدولية المنقحة، والتي دخلت حيز التنفيذ في يونيو(2007). ذهبت منظمة الصحة العالمية أبعد من ذلك في ربط الأمن الصحي بمكافحة الأمراض السارية، عندما أعادت تسمية مجموعة الأمراض المعدية باسم "الأمن الصحي والبيئة". في حين أن هذه الاستخدامات المقيدة نسبيًا لمصطلحي "الأمن العام للصحة العامة" و "الأمن الصحي" توفر الوضوح والتركيز، فإنها تستبعد العديد من الاهتمامات العالمية الأخرى للصحة العامة (مثل خفض معدل وفيات الأمهات ،حياة الأطفال ، التغذية)، ويبدو أنها تنحرف عن تفسير أوسع للمفهوم المشترك بين وكالات الأمم المتحدة الأخرى

(UNDP 1994; UNICEF, 1998) ناهيك عن التغاضي عن مفهوم الأمن الثقافي بتحديد تعاريفه وأهميته، وتوضيح آليات تطبيقه.

هذا ما يجعلنا نولي اهتماما أولا لتعريف الأمن الإنساني ثم الأمن الثقافي.

4- مفهوم الأمن الإنساني:

تعرف لجنة الأمن الإنساني (CHS)، مصطلح الأمن الإنساني في تقريرها النهائي "الأمن الإنساني الآن: Human Security Now" بقولها:

"... لحماية النواة الحيوية لجميع الأرواح البشرية بطرق تعزز حريات الإنسان وتحقيق الإنسان، فإن الأمن الإنساني يعني حماية الحريات الأساسية - الحريات التي هي جوهر الحياة، وهذا يعني حماية الناس من التهديدات والأوضاع (الشديدة) الحرجة (واسعة النطاق). وهذا يعني كذلك استخدام العمليات التي تعتمد على نقاط القوة وتطلعات الناس، وكذا إنشاء أنظمة سياسية واجتماعية وبيئية واقتصادية وعسكرية وثقافية تمنح الناس معًا لبنات بناء البقاء والمعيشة والكرامة ". (CHS: 2003: 4)

بشكل عام، فإن التعريف الذي اقترحته لجنة الأمن الإنساني (CHS) يعيد صياغة مفهوم الأمن بطريقة أساسية من خلال:

أ- الابتعاد عن مفاهيم الأمن التقليدية المتمحورة حول الدولة والتي ركزت في المقام الأول على سلامة الدول من العدوان العسكري، إلى مفهوم يركز على أمن الأفراد وحمايتهم وتمكينهم ؛

ب- لفت الانتباه إلى العديد من التهديدات التي تتداخل مع جوانب مختلفة من حياة الإنسان ومن ثم تسليط الضوء على العلاقة بين الأمن والتنمية وحقوق الإنسان؛

ج- الترويج لمقاربة متكاملة ومنسقة محورها الإنسان لدفع عجلة السلام والأمن والتنمية داخل الأمم وفيما بينها.

لماذا الأمن الإنساني الآن؟

حسب مفهوم لجنة الأمن الإنساني (CHS) ترتبط الحاجة إلى نموذج جديد للأمن بمجموعتين من الديناميات:

أولاً: هناك حاجة إلى الأمن البشري استجابةً لتعقيد الاثنين (الأمن، الإنسان) وترابطهما بسبب التهديدات الأمنية القديمة والجديدة - من الفقر المزمن والمستمر إلى العنف العرقي والاتجار بالبشر وتغير المناخ والأوبئة الصحية والإرهاب الدولي والركود الاقتصادي والمالي المفاجئ. تميل هذه التهديدات إلى الحصول على أبعاد عابرة للحدود الوطنية وتتجاوز المفاهيم التقليدية للأمن التي تركز على الاعتداءات العسكرية الخارجية وحدها.

ثانياً: الأمن البشري مطلوب كمقاربة شاملة تستخدم مجموعة واسعة من الفرص الجديدة للتصدي لهذه التهديدات بطريقة متكاملة، حيث لا يمكن مواجهة تهديدات الأمن البشري من خلال الآليات التقليدية وحدها. بدلاً من ذلك، فهي تتطلب إجماعًا جديدًا يعترف بالروابط والترابط بين التنمية، حقوق الإنسان والأمن القومي.

هذا الترابط المعترف به يعتبر نتاج تداخل مفاهيم تقع على مستوى الأفراد وهي ذاتها مفاهيم تشترك فيها الجماعات وبالتالي من مهام الدول حيث تقع عليها إلزامية الحماية أولها الأمن الصحي والأمن الثقافي.

5- مفهوم الأمن الثقافي:

إن النسيج الاجتماعي بمقدار ما هو شبكة علاقات أساسها كيانات بشرية ممثلة في أفراد لها أدوارا بقدر ما هي كذلك شبكة من معاني منسوجة عبر الأصول التكوينية للجماعات والأمم، وتأتي الثقافة على قمة الهرم التكويني الذي يعطي للجماعة معنى وهدفا وجوديا.

فالثقافة حسب وايت "White " هي " تنظيم لأنماط السلوك والأدوات والأفكار، والمشاعر التي تعتمد على استخدام الرموز أو بعبير "رالف لينتون " Linton : "هي التشكيل الخاص بالسلوك المكتسب ونتائج السلوك التي يشترك جميع أفراد مجتمع معين في عناصره المكونة ويتناقلونه (White, J. D, 1975)

فالثقافة تلخص كيان متعدد المتغيرات، من ممارسات تربية الطفل إلى نظم القرابة. فالثقافة لها وظيفة في التاريخ الشخصي والاجتماعي. إنها الطريقة الإجمالية للحياة لمجموعة من البشر، في المقام الأول أنماط مشتركة من القيم والمعتقدات، والمشاعر التي تميز وجهة النظر نحو العالم.

من هنا تظهر الثقافة على طرفين: الأول كجوهر، يتم توريثها للأفراد الذين يتلقونها كإرث؛ مستنسخة. وكذا الثقافة هنا قريبة من الهوية، وبذلك مصطلح آخر غير واضح في المفهوم. في الحالات الأكثر تطرفاً، يتم تجنيس الثقافة وتصبح حقيقة طبيعية تتماشى مع الأيديولوجيات العنصرية وحتى مع العديد من المفاهيم العرق.

على الطرف الآخر، على العكس من ذلك، الثقافة مستمرة، خليط دائم، اختراع يتم إنتاجه، وهو مدين أكثر بكثير من المواجهات، " التهجين:crossbreeding " أو مزيج من «الأعراق"، وعمليات خلط اللغات لإنتاج لغات جديدة "creolization". عندما تسود هذه الفكرة داخل مجموعة مسيطرة في المجتمع، فإنها تشير إلى تصورات أكثر انفتاحًا حول تغيير هوية الأجانب أو المهاجرين أو الأقليات.

في عالم اليوم، تنطوي المشاركة في الثقافة على توتر بين سجل الابتكار والإبداع وسجل التقليد. بالإضافة إلى ذلك، قد تشجع الظروف الاقتصادية الصعبة والعنصرية ومبررات الاستبعاد والخوف الأفراد والجماعات على التحول نحو التقاليد، وحتى إعادة اختراعها، بدلاً من الانفتاح على الإبداع، الاختلاط مع الآخرين و حتى الحركة الدائمة.

شروط النقاش حول مفهوم الثقافة ليست جديدة، وقد شيدت، في كثير من النواحي، في القرن التاسع عشر. وبعبارة أخرى، فإن الثقافة كانت محورية للعديد من المناقشات في العلوم الاجتماعية منذ نشأتها.

ولكن هذه الصورة لثقافة التوتر بين نوعين مختلفين جداً من الأساس المنطقي ضرورية إذا أردنا أن ندرس مسألة الأمن في أوقات المخاطر والتهديدات العالمية، سواء كانت مسألة مخاوف اقتصادية وصعوبات ناشئة عن العولمة أو الإرهاب أو المواضيع المرتبطة بالبيئة والمناخ، ومرتبطة بالأمن الثقافي الذي يقصد به على أنه: نظام الخدمات الصحية والمجتمعية سيتفهم بشكل أوضح بكثير مما هو عليه الحال في الوقت الحاضر ما يقدره السكان الأصليون وكيف يمكننا العمل مع هذه القيم لتحقيق خدمات ونتائج أفضل وعملاء أكثر رضاء.

يقع هذا التعريف على طرفي المعادلة ضمن تماس حركة الثقافات في البيئات المتجاورة مما يحيله أي التعريف إلى مستوى المركزية الذاتية (egocentrisme)، وهي خاصية مذمومة أمام الرؤى الداعية للتثاقف، في الوقت الذي يحيل فيه البعض "الأمن الثقافي" إلى إمكانية إعادة إنتاج ثقافتهم ؛ للآخرين، إلى إمكانية إنتاج أشكال ثقافية جديدة؛ وبالنسبة للكثيرين، فهو مزيج غير مستقر إلى حد ما، أو "سائل" من الاثنين معا، على حد تعبير بومان (Bauman, Z. 2017)

إن الأمن الثقافي المطلوب اجتماعيا لا يمكن تحصينه خارجيا بسبب مقاربة التدافع(struggle)، حيث تفرض الثقافات الغالبة على المغلوبة منطقها ضمن علاقة (مهيمن/مهين عليه، dominant/ dominé)،ويصبح مفهوم الأمن الثقافي أكثر ابتذالا بسبب اختراق الحدود الجغرافية والهوياتية في عالم يعيد طرح تساؤلات جديدة على غرار: هل حقيقة توجد ثقافة خاصة؟

لم يعد للمفاهيم التقليدية معنى أمام تماس الثقافات المعولمة كالحفاظ على المكونات الثقافية الأصيلة في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة الأجنبية المشبوهة وهو بهذا المعنى حماية وتحصين الهوية الثقافية من الاختراق والاحتواء من الخارج (زكرياء فؤاد،1987)، فهذا حديث عن الأمن الثقافي من وجهة دفاعية، لا هجومية، فهل المجتمعات القوية (الغالبة dominante) ينتشر فيها هذا الهاجس؟

في الوقت الذي تزداد فيه أهمية التحصين الثقافي الذاتي (Self-cultural immunization) أكثر من المطالبة باحترام الخصوصيات يتراءى مفهوم أكثر تلاؤما وهو السلامة الثقافية (Cultural safety)* على حد تعبير روبن ويليامز" Robyn Williams والذي يعني: بيئة آمنة روحيا واجتماعيا وعاطفيا، وكذلك آمنة جسديا للناس؛ حيث لا يوجد اعتداء أو تحدي أو إنكار لهويتهم ومن هم وما يحتاجون إليه. إنه يتعلق بالاحترام المشترك والمعنى المشترك والمعرفة المشتركة وخبرة التعلم معًا. (Williams .R ,1999)

(أثير مفهوم السلامة الثقافية في عام 1988 في نيوزيلندا عندما ذكرت السيدة Hinerangi Mohi ، "أنت تتحدث عن السلامة القانونية والسلامة الأخلاقية والسلامة في الممارسة السريرية وقاعدة معارف آمنة ، ولكن ماذا عن السلامة الثقافية؟"(AHM ,2016).

فالأمن الثقافي من المفروض أن يمر حتما عبر السلامة الثقافية التي تضمن وجود الذات وسلامتها في إطار الكل المركب بحيث لا يسحق هذا الأخير بأي منطق كان كالعلم أو انجازاته (التكنولوجيا)، حق الآخر في الوجود واستمراريته عبر تحطيمه صحيا ونفسيا.

6- الصحة النفسية والعقلية والأمن الثقافي:

تعرف منظمة الصحة العالمية الصحة بأنها: "هي حالة من الرفاه البدني والعقلي والاجتماعي الكامل ، وليس مجرد غياب المرض أو العجز (Daniel .Callahan ,1973)، لكن كم من سليم يعاني الألم النفسي والجسدي رغم غياب العاهة، وفي المقابل كم من شخص يعيش حالة من الرفاه البدني والعقلي والتكيف الاجتماعي رغم إعاقته، لذا كان المعيار الذي ينظر إليه للصحة يحمل أبعاد جديدة يتكامل فيه بعدي الجسد والنفس حيث يأتي مفهوم الصحة النفسية وفقًا لمنظمة الصحة العالمية (WHO) بأنها: حالة من الرفاه يدرك فيها الفرد قدراته الخاصة، ويمكنه التعامل مع ضغوط الحياة العادية، ويمكنه العمل بشكل منتج ومثمر، وقادر على المساهمة في مجتمعه.(Baldwin D. 1997)

تؤكد منظمة الصحة العالمية على أن الصحة العقلية "ليست مجرد غياب الاضطراب العقلي"، فهي حالة عقلية انفعالية سلوكية إيجابية (وليست مجرد الخلو من الاضطراب ء النفسي) وهي نسبية، تبدو في أعلى مستوى من التكيف النفسي والاجتماعي والبيولوجي حين يتفاعل الفرد مع محيطه الداخلي (ذاته) ومحيطه الخارجي (الاجتماعي والفيزيقي الطبيعي)، وحين تقوم وظائفه النفسية بمهماتها بشكل متناسق ومتكامل ضمن وحدة الشخصية.

إن نسبية حالة الصحة النفسية والعقلية متوقفة على عدة عوامل تلتقي رأسا مع شروط الأمن عموما (اقتصادية، غذائية، صحية، بيئية، مجتمعية وسياسية)، فالوصول إلى حالة التوافق الداخلي والخارجي مرهون بشعور الفرد بعدم الخوف على جسده ونفسه وعقله وهو في تفاعل دائم مع البيئة الخارجية التي أضحت أكبر تحدي له بداية من ضغوطات البيئة الفيزيقية والمناخية والمهنية ووصولا إلى مشكلات التكيف مع التكنولوجيات الوافدة وطفرات التغير في عالم الاتصال الذي جعل عالم الأفراد متقارب باختزاله للمكان ناشرا صور جديدة عن معنى المشاركة في ثقافة عالمية إنسانية واحدة. لكن منطلق الغلبة المحدد من قبل قوة المرسل وضعف المستقبِل ولد الشعور بالانسحاق أمام الهجمة الرقمية، يجسده الإذعان دون مقاومة إلى حد الإدمان على تكنولوجيات الإعلام والاتصال بالانخراط المَرضي في الشبكة العنكبوتية التي تثبت الدراسات المتواترة أضرارها على صحة الأفراد العقلية والنفسية (; Soror .A & al,2015; Al Fawareh, Hejab M., 2017 ; 1998, Young, K) من جهة، والأخطر من ذلك توالد الأفكار المَرضية والمُمرضية من الإدمان على تلك التكنولوجيات بالانتقال من مخاطر استخدامها وآثارها الجسدية والنفسية إلى أنماط جديدة من أمراض السيادة الرقمية الممثلة في الإدمان الرقمي (idoser) (Zatorre & al,2012 ; MORLOT, Anthony.2012) وصولا للعلاجات المشوهة (السيجارة الالكترونية:Charlotta Pisinger, 2015) حيث يبدو التأثير على عدم القدرة على استيعاب حجم وأشكال التأثير بسبب تشعب عالم الاتصال الذي ينخر صحة الصغار والكبار على حد سواء.

خاتمة:

في عالم يحكمه منطق الإنتاج وتسويق المواد، ومعيار الغلبة حيث يؤول فيه الأمر إلى عدم الاحتكام للقيم المبنية على أخلقة الفعل الاقتصادي، فكان حق الإنسان في حماية حقوقه الفكرية مكفولا عبر المواثيق الدولية على غرار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (Henry J & al, 2000) واتفاقية حماية التراث الثقافي غير

المادي (اليونسكو، 2003) حيث تبدو ظاهريا الحماية القانونية لحقوق المؤلف في النطاق الرقمي(مصطفى الفوركي،2014)، فللمؤلف حقوقا مكفولة فيما ينتج وفيما ينشر (الويبو ،1996)، والمستهلك الالكتروني محمي وفق تشريعات تمس أكثر التعاقدات والمشتريات (Rossella Soldi & al,2018) لكن يبقى السؤال مطروحا: ما مدى وعي المؤسسات الدولية والمحلية بتقنين العلاقة بين المنتج والمستهلك عبر التواصل الافتراضي من أجل ضمان السلامة الجسدية والنفسية للمتلقي خاصة أمام تزايد أخطار العولمة عبر السيادة الرقمية في عصر المواطنة الرقمية؟

ومن هنا فقد بات من الضروري المرور إلى توصيات تخص كافة البيئات الاجتماعية والثقافية وهي:

- على مستوى الأسرة: تدعيم المراقبة الوالدية بأنظمة وبرامج لحجر المواقع الهدامة الخارقة للأمن الثقافي.
- على مستوى المدرسة: أهمية تثمين الخصائص الثقافية في المناهج التربوية ضمن مقاربة جديدة وهي التحصين الذاتي الثقافي.
- على مستوى وسائل الإعلام: سن قوانين صارمة محاربة لأشكال التهديدات التي تمس الأمن الثقافي على غرار تلك المتعلقة بنهب وتسويق التراث المادي العالمي.
- على مستوى الدولة: تشريع القوانين المانعة للتشهير أو الداعية لخرق الهوية الوطنية ذات أبعاد شاملة تضمن مقاومة الهجمات العابرة للثقافات.

قائمة المراجع

- الويبو .(1996). معاهدة المنظمة العالمية للملكية الفكرية ، بشأن حق المؤلف المعتمدة بجنيف بتاريخ 20 ديسمبر سنة 1996. و التي صادقت عليها الجزائر بموجب المرسوم الرئاسي رقم 123-13 المؤرخ في 22 جمادى الأولى عام 1434 الموافق 03 ابريل سنة، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، عدد 27، السنة 50، الصادرة في 12 رجب عام 1434 الموافق 22 مايو سنة 2013.
- اليونسكو .(2003)، المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، المشار إليها فيما يلي باسم "اليونسكو"، المنعقد في باريس من 29 سبتمبر/أيلول إلى 17 أكتوبر/تشرين الأول 2003، في دورته الثانية والثلاثين، متوفر على الموقع:https://ich.unesco.org/ar/convention
- زكرياء، فؤاد زكريا .(1987). خطاب إلى العقل العربي. الكويت: مؤسسة الكتاب العربي، ط17 .
- محمد علي، الفرا.(1979). مشكلة إنتاج الغذاء في الوطن العربي.الكويت: عالم المعرفة 21، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- مصطفى الفوركي.(2014) الحماية القانونية لحقوق المؤلف في النطاق الرقمي، مجلة القانون و الأعمال، مجلة الكترونية تصدر عن، مختبر البحث: قانون الأعمال، جامعة الحسن الأول سطات، المغرب.. على الموقع الالكتروني التالي: http://www.droitetentreprise.org/

- Al Fawareh, Hejab M (2017). "The Use and Effects of Smartphones in Higher Education". International Journal of Interactive Mobile Technologies. 11: 2017, 103–111.
- Australian Health Ministers' Advisory Council (2016). Cultural Respect Framework for Aboriginal and Torres Strait Islander Health, 2016-2026. Canberra: AHMAC. Available: http://www.coaghealthcouncil.gov.au/Portals/0/Cultural%20Respect%20Framework%20for %20ATSI%20Health%202016%20-%202026_1.pdf.
- Axworthy .L (2001). Human security and global governance: putting people first. Global Governance 7: 19–23.
- Baldwin .D (1997). The concept of security. Review of International Studies 23: 12–18.
- Bauman, Z (2017). SOCIO, 8 (June), Dossier 'Zygmunt Bauman critique de la modernité'. Paris: Editions de la Maison des Sciences de l'homme.
- Charlotta. Pisinger (2015). A systematic review of health effects of electronic cigarettes, Research Centre for Prevention and Health, Denmark. Report was prepared at the request of WHO Prevention of Non communicable Diseases.
- Chen. LC, Leaning. J & Narasimhan .V (eds) (2003). Global health challenges for human security. Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Chen. LC (2004). Health as a human security priority for the 21st century. Paper for Human Security Track III, Helsinki Process. Online at: http://www.helsinkiprocess.fi/netcomm/ImgLib/24/89/ LCHelsinkiPaper12%5B1%5D.6.04.pdf.
- Commission on Human Security (2003). Human security now: protecting and empowering people. New York: United Nations.
- Daniel. Callahan (1973). The WHO Definition of 'Health', The Hastings Center Studies, Vol. 1, No. 3, The Concept of Health (1973), pp. 77-87 Published by: The Hastings Center, http://www.jstor.org/stable/3527467 (14/03/2020,21.17)
- Henry. J .Steiner & Philip. Alston (2000). International Human Rights in Context: Law, Politics, Morals, (2nd ed), Oxford University Press, Oxford.
- Maxwell. S (1996). Food security: a post-modern perspective. Food Policy. 21 (2): 155-170.
- MORLOT. Anthony (2012). Les drogues numériques et ondes binaurales : I-Doser, phénomène de mode ou réel danger ? 2012, mémoire on-line :
- docnum.univ-lorraine.fr/public/BUPHA_MAUDIO_2012_MORLOT_ANTHONY.pdf (18/10/2018.17.52).

- Nef. J (1999). Human security and mutual vulnerability: the global political economy of development and underdevelopment (2nd edition). Ottawa: International Development Research Centre.
- Ralph. Adolphs (2013). The Biology of Fear, Curr Biol. 2013 Jan 21; 23(2): R79–R93. doi: 10.1016/j.cub.2012.11.055 .
- Rossella .Soldi & Simona .Cavallini (2018). Consumer Protection. Technical Report. DOI: 10.2863/419916. Online : https://www.researchgate.net/publication/330359350.
- Soror .A & al. (2015). "Good habits gone badly: explaining negative consequences associated with the use of mobile phones from a dual-systems perspective", Information Systems Journal, Wiley Publishing Ltd.
- Thierry. Steimer (2002). The biology of fear- and anxiety-related behaviors Dialogues in clinical neuroscience 4(3):231-49.
- UNDP (1994). Human Development Report. Oxford: Oxford University Press.
- UNICEF (1998). The State of the World's Children. Oxford: Oxford University Press.
- White, J. D., White, T(1975). Cultural scripting. Transactional Anal. I 5: 1 2-23
- WHO (2005). Basic Documents (forty-fifth editions). Geneva: World Health Organization.
- WHO (2007a). World Health Report 2007: a safer future: global public health security in the 21st century. Geneva: World Health Organization
- WHO (2007b). High-level debate tackled need for improved international health security. Online at: http://www.who.int/worldhealth-day/2007/activities/global_event/en/index.html.pdf.
- Williams. R (1999). 'Cultural Safety – what does it mean for our work practice?' 23(2) Australian and New Zealand Journal of Public Health.p213.
- Young. K (1998). "Internet addiction: The emergence of a new clinical disorder," Cyber Psychology Behav., vol. 1, no. 3, 237–244.
- Zatorre. R.J, & J. M. Zarate (2012).Cortical processing of music. In; the Auditory Cortex: Springer Handbook of Auditory Research, Poeppel et coll. (dir.), New York: Springer Science+Media.